أنشودة الخروج من حالات الحصار

عبـد اللـه راجـــع

على هودج من حروف البكاء جبينى : تقاطر فى
هجمة الدرب ، نقط فوق الرصيف
خيوطا من السهد ـــ برصاء كانت دروب المدينة ..
.. معجونة بالبراز (اشتهيتك
يا شفرة لم تخبىء من الناس الا حبيبى)
يد الريح تبحث فى داخلى عن كلام يخبؤه القلب
(يا حارس الليل نم لست لصا)
على غفلة من نعاس المصابيح صادفت وجه ابى
رابط الغيم فى وجنتيه ، استغاث بكى حين ابصرنى
(خبريه عن الحزن يا من اذا بكت
يصهل اليتم فى رئتـــى) ..
مد كفيه نحوى وتمتم : هل جئت ؟
حاولت ان استعير ولو بسمة ، فاستفقت ..
.. التفت .. وفى لحظة من عيون الاحبة خبأت
تحت المخدة وجهى ، وفتحت للدمع بابا .

صورة من العالم السفلى

تشرب من جفنى نعاس الدبح الهادىء
جلجلة العربات اليدوية أو
وقع الاقدام على اسفلت الحارة
بعد قليل تتحرك من غفوتها نافذة
تستيقـــظ اخـــرى
وانا سأفتح كالعادة كل خلايا جسدى
كى أتشرب من ديـــوان الجـــاره
لكنـــى قـــررت اليـــوم
أشعـــار هجـــاء مختـــاره

ان انفض فى عينيها ما تحمله الزواده :
سأحدثها عـــن ليلـــة امس
حين تعرت كتلة شحم تتكور
بين يـــدى بيـــاع الزيت
عنـــد غـــروب الشمس
بعد قليل تتقيأ كل الابواب رجالا
وبقـــايـــا أطعمـــة نتنه
تتخاصر فى حارة اصوات الباعة والشحاذين
فأمـــد الى الشبـــاك يـــدى
تتسلل عبر خياشيمى رائحة البول المتبخر
وعلى واجهة المقهى ، كالعادة
يفتل شاربه الابيض ناطور الدرب ويلقى
أحلى مـــا يملك من كلمـــات
حيـــن تمـــر فتـــاة

حـــوار بيزنطـــى

ـــ أشعر بالحزن وئيدا يتسلق أوصالى / يجعلنى
حفنة ثلج أو يرشق ذاكرتى بالنسيان
ثمـــة شىء ينغل فى الداخل المسه
حين يصادفنى أرق يأكل من جمجمتى أو
حين أحدق فى وجه الانسان
ثمة شىء لا يحمل اسما يركبنى فى لحظات الصحو
فانسى تاريـــخ حيـــاتـــى
ـــ ما ذا يحمل هذا التاريخ سوى الرعشة والاحزان
هل تقدر أن ترفع رأسك اذ
تنفـــر منك حـــروف اسمك
أو تتحول نقشا فى ذاكرة التاريخ
ـــ بل يحدث لى أن افقد ـــ احيانا ـــ اسمى
وشهـــادة ميـــلادى
اتهجى اعينهم حين يمرون قوافل اسرى
تصفع اسفلت الحارة ، اقرأ فى اعينهم
سورا من قرآن الحقد ، وديوان كلام ملغوم
ـــ هى رائحـــة الانسان المسموم
تملأ أرجـــاء الكـــرة الارضيـــة
ـــ وأنا النابت فى مستنقـــع احزانـــى
ـــ ســـأمشط شعـــرك

اعطيك بطاقة تعريف وجواز مرور
لن اصرخ : ديوان انت بدون مسمى
او قافلـــة مـــن سهـــر ازرق
تبحر من مرفا حزن كى ترسو فى مرفا حمى
ساقـــول لهم ...
ـــ انت اذن ...
ـــ مثلك لا اعرف كيف يصير الانسان
فى رمشة عين اسدا او ثعبـــان
اعترافـــات مـــؤقتـــة
تغازلنـــى واجهـــات المقـــاهى
كأن تضاريس وجهـــى لغـــات جـــديـــدة
وتاكل من رئتى احرف حين خبأتها فى الدواخل
صـــارت قصيـــده
انا التيه : احمل فى جبتى من غرائبكم حزمة
ومـــن المـــوت اخـــرى
واعبر كل المدائن ، كل المداشر ، اعشقكم
حين ارفضكم ، وعيونى جريده
انا التيه : اكبر فى جسدى حين اصغر فى
اعين الناس لا شىء عنـــدى
سوى وجبة من قصائد اطبخها بين حنجرتى والرئه
وحين احدق فيكم ارى زمن الاوبئـــه
يغـــازل كـــل الجـــرائـــد
فانقش خارطة للجحيم على عتبة القلب ثم امزقها .
تتمـــة الحـــوار
ـــ ملعون هذا الزمن المتخشب فى الرئتين
نأتيـــه فيهرب منا ، ينسل ونبقى
فى منطقة الظل نفتش عن زمن انقى
ـــ سأصـــارحك القـــول ...
ـــ اخاف من الكلمات اذا كشفت أسرار القلب
ولذا فانا اهرب منها : اهرب من ملكوت الغم
خشية ان تفضحنى اللغة الممزوجة بالدم !
ـــ لكنك تهذى ، هل يجديك الوهم
حين تخبىء وجهك فى الرمل الطازج كى يبقى
جسمك شارة حزن متعتق
ملعون من يحمل أحزان الدنيا الموبوءه
ملعون من يكبر فى عينيه الانسان

ـ 24 ساعة قبل بداية التاريخ

هذا اللغز المستعصى منذ بدايات العصر الحجرى
يقف الآن معرى : حزمة قيء وتفاهه
كى يغرس فينـــا هـــذا السكين
منتظرا ان يطلع فينـــا بروميثيوس
يحمل مصبـــاح عـــلاء الديـــن !
ـ ها أنت ـ اذن ـ تحشر فى كفى راس الخيط
توقظ فى رئتـــى حديثا يوجعنـــى
ياكل من نضرة وجهى ، يدمننى
آه لم يغرس فينا الانسان سوى الحب
علمنا ان نصنع من سنوات الجدب مواسم قمح :
اعراسا ، وموائد للجوعى ، أوصانا
أن تفتح اعينا حين يعسكر فى الشرفات الليل
ان نصمد كالنخلة فى وجه القيظ وان
نتمســـك بالـــرمـــل
لكن ، قل لى : ماذا اعطينـــاه ؟

ـ .....

ـ ليس غريبا أن نصمت نحن الموتى
كان علينا أن نمسح عن جبهته عرق الزمن الغادر
كان علينا ان نغلق فى وجه خطاه التيه
لكننا لم نشعـــر اذ كنـــا نرثيـــه
انـــا نفتـــح بـــابا للحـــزن ..
ـ .. « وهل فاقـــد شـــىء يعطيـــه »

التاريخ يبدأ من الشارع

فى الواحدة زوالا مات صديقى بالسكته
(لم تتوقف رجل فى حارتنـــا)
كان المذياع يشق الجدران الرثه
وعلى الطرف الايسر من حارتنا كان الحلاق
كالعـــادة يلقـــى أول نكتـــه
فبكيـــت كثيـــرا ..
فى الثانية زوالا كانت سيارات الشرطه
تبحث عن بائـــع زيت مغشوش
حين ارتطمت جمجمة بالاسفلت الساخن
واختلط الزيت بمطـــاط العجـــدت
منذ الثانيـــة زوالا لم تتحرك رجل فى حارتنا :
اختنقت مـــن حنجـــرة المذيـــاع بقـــايا

أغنيـــة مختـــاره
وعلى الطرف الايسر من حارتنا كان الحلاق
يمتص دخـــان السيجـــاره
ويحاور ناطور الدرب الغارق فى الزرقه
فبكيـــت كثيـــرا
فى السادسة مساء غازلنى فرح مجنون
(حين اختلطت خطواتى بخطى الجيران)
من قلبى كان يطل على الانسان
من قلبى كان يطل على الانسان

أربعاء الفقيه بن صالح
1974 — 6 — 6